العدد السادس والعشرون
2009

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا
1377 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2009 مسيحي

- ملامح عن المذهب المالكي في الغرب الإسلامي
- الخطاب الإسلامي مميزاته والتحديات التي تواجهه
- الشيخ محمد عبده وصلاته بأعلام الإصلاح في المغرب الكبير
- اللغة وصناعة الهوية

أ. خليفة عبدالله حسن

إن دراسة المخارج والصفات تعدّ أساساً لأي دراسة صوتية، فقد قال سيبويه: «وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات؛ لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالاً كما تدغم، وما تخفيه، وهو بزنة المتحرك»[1].

والنون صوت غنوي يحتلّ مكانة كبيرة بين أصوات العربية؛ لموقعه المتوسط بين أصوات الفم، وتركيبها في الكلمات كثير؛ ولا تكاد تخلو آية من آيات القرآن الكريم من وجود صوت النون الساكنة، وصوتها طيع يتأثر بما يجاوره محدثاً تنوعات صوتية، هي عبارة عن ألفونات لفونيم واحد، هو صوت النون ويهدف هذا البحث إلى بيان صوت النون من حيث المخرج والصفة وإيضاح ظاهرة التأثير بين هذا الصوت والأصوات الأخرى.

(1) الكتاب 4/ 436.

النون من حيث المخرج والصفة:

حدّد (الخليل 175هـ) مخرج النون بأنها ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان[1]، أما (سيبويه ت 180هـ) فقال: «ومن حافة اللسان ومن أدناه إلى طرف اللسان، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثنايا مخرج النون»[2] انظر الشكل.

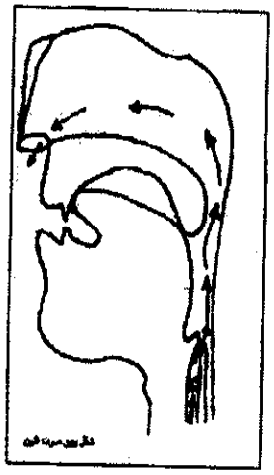

ثم يمضي فيقول: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة»[3]، أما (المبرد 285هـ) فعبّر عن مخرجها أنه أقرب الحروف إلى اللام، وأن «النون الخفيفة خالصة من الخياشيم»[4] و(ابن يعيش ت 643هـ) عبر بقوله: «النون من خلف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا»[5].

فمن خلال عرض آراء القدماء مرتبين مع سلّم الزمن، نرى أن الخليل يعبر عن مخرج النون بنسبته إلى الناطق، حيث وصفها ذلقية، ويتضح من رأي

---

(1) انظر مقدمة الخليل 58. من كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي وآخرين منشورات دار الهجرة إيران قم.

(2) الكتاب (هارون) ط / 1/ ج 4/ 433. نشر دار الجيل (1991م).

(3) الكتاب 4/ 434.

(4) المقتضب 194 للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. طبع دار الكتب بيروت.

(5) شرح المفصل لابن يعيش 125. طبع دار الكتب بيروت بلا تخ.

سيبويه أن النون صوت أسناني لثوي أو لثوي فقط، وهذا ما جرى عليه أكثر علماء الأصوات، ومعنى قول المبرد أن اللام والنون متقاربان في المخرج، أو هما من مخرج واحد بضرب من التوسع، ويرى المحدثون أن النون حرف لثوي Alveolar فيحددون المخرج نسبة إلى نقطة النطق، وقد راعوا أثر الصوت المجاور وما يتسبب عنه من تغيير في المخرج، فقد تكون صوتاً أسنانياً أنفياً نحو، قولك (من ذلك) وقد تكون صوتاً أسنانياً لثوياً، نحو: (من طاب) وقد تكون صوتاً غارياً أنفياً نحو قولك (إن شاء)، أو صوتاً طبقياً أنفياً نحو قولك: «إن كان، إن قال»[1] وهذا ما سأوضحه قريباً.

نصل إلى كيفية حدوث الصوت بالنسبة للنون؛ حيث يحدث باتصال طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً مع انخفاض أقصى الحنك الأعلى، فيسد بهبوطه فتحة المزمار ويسمح للهواء بالخروج من التجويف الأنفي محدثاً نوعاً من الحفيف، والوتران الصوتيان في حالة اهتزاز مسببان جهر الصوت ويراعى فيها الاحتراز من إخفائها حال الوقف نحو العالمين[2].

أما من حيث الصفة فيعدّ صوت النون من الأصوات الغنوية المجهورة «لإشباع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت»[3] إلا أن هذا الصوت «قد يعتمد له في الفم والخياشيم فتصير فيه غنة، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك، ثم تكلمت به لرأيت ذلك قد أخل به»[4] وهو شديد يجري معه الصوت؛ لأن

---

(1) علم الأصوات اللغوية 72 ـ 73.

(2) علم الأصوات اللغوية ص 74، علم اللغة د. عبدالله سويد وآخرون ط 1 / ص 166، دار المدينة القديمة.

(3) انظر الكتاب 4/ 434 والمقتضب 195 وسر صناعة الإعراب لابن جني 69 وشرح المفصل لابن يعيش 129.

(4) انظر الكتاب 4/ 434 والمقتضب 195 وسر صناعة الإعرابَ لابن جني 69 وشرح المفصل لابن يعيش 129.

«ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنك تخرجه من أنفك، واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت، وهو النون»[1] فالشدة في نظره إقفال المجرى الفموي، وإن كان مجرى الأنف مفتوحاً[2]، ومن هذا العرض لأقوال سيبويه يتبين أن الشدة عدم جريان الصوت إلا أنه قد يختل هذا، فيجري الصوت مع هذا الحرف؛ لوجود الغنة التي تسبب وصفها بأنه بين الشدة والرخاوة، وقد سار على هذا الرأي ابن يعيش، فعبر عن ذلك بقوله: «وأما التي بين الشدة والرخاوة ثمانية أحرف وهي... والنون»[3] وقد فسر المحدثون هذه الظاهرة بدقة، فهذا إبراهيم أنيس يعلل منع النفس بأنه ناشئ عن «اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادا يسدان طريق النفس»[4]، ويوضح الدكتور عبد الصبور شاهين إشباع الاعتماد عن طريق السؤال: ما الدافع الذي دفع سيبويه إلى أن يقول إشباع الاعتماد، وضعفه للتفرقة بين المجهور والمهموس؟ ثم يجيب مبدياً إعجابه البالغ، وشاهداً لهذا العالم الجليل بالتوفيق في الانتباه إلى دور الرئتين في إنتاج الأصوات؛ إذ البحوث الصوتية الحديثة تبدأ بدراسة تشريح لأعضاء النطق ابتداءً بالحجاب لتفسير العمليات الصوتية بوجه عام، والمقطعية بوجه خاص[5]، ويقصد بـ (إشباع الاعتماد) أن للجمهور موضعين: موضعاً في الفم هو مخرج الحرف، وموضعاً في الصدر هو مخرج الجهر؛ لذا كان المجهور مشبعاً[6]. ومن هذا يتبين أن للجمهور في رأي سيبويه صفات ثلاثة[7]:

---

(1) الكتاب 4/ 435.

(2) انظر مجلة الأزهر مصطلحات سيبويه د. تمام حسان ص 1083.

(3) شرح المفصل لابن يعيش 129.

(4) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس 125 نقلاً عن التطور اللغوي 232 مكتبة الباب (1992م).

(5) انظر التطور اللغوي 232.

(6) انظر التطور اللغوي 233.

(7) التطور اللغوي 234.

أ ـ إشباع الاعتماد في الصدر والفم.

ب ـ منع النفس من الجريان (منعاً باتاً) وهو عند المحدثين (جزئي).

ج ـ جريان الصوت ـ وهو ما يعني لدى المحدثين نشاط الأوتار الصوتية الذي يسمح في نهايته للنفس بالانطلاق.

كما يرى المحدثون أن هذا الحرف متوسط[1]؛ لأنه ليس بالشديد ولا بالرخو[2]؛ إذ تتكون الأصوات المتوسطة «عندما تكون درجة التضييق في المخرج هي وسط بين الانغلاق التام والانغلاق الجزئي»[3].

النون الساكنة وظاهرة التماثل المدبر Regressive Assimilation:

ويحصل التماثل المدبر عندما يؤثر الصوت اللاحق في الصوت السابق[4]، وهذا ما يسميه علماء القراءات «الإخفاء»[5]، وهو لغة الستر[6]، ويعرفونه في الاصطلاح: «هو النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عار عن التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول»[7]، ويكون في النون مع خمسة عشر حرفاً، ويكون فيها إذا وليها حرف الباء، وهو ما يسميه القراء بـ «الإقلاب»[8] الذي يعدّ حقيقة

---

(1) التمهيد في علم اللغة 54، 55.

(2) علم الأصوات اللغوية 89.

(3) التمهيد في علم اللغة 54.

(4) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب ط / 1 (1976م) ص 325 نقلاً عن المنهج الوصفي د. نوزاد حسن أحمد ط / 1 (1996م) منشورات جامعة قاريونس ص 124.

(5) انظر التجويد الميسر تأليف عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ط / 1 (1972م) ص 42.

(6) انظر تاج العروس في شرح القاموس تأليف الإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي دار ليبيا المجلد 3 / مادة (خفى).

(7) انظر البرهان في تجويد القرآن تأليف محمد الصادق قمحاوي ص 10 مكتبة الجامعة الأزهرية مصر.

(8) انظر التجويد الميسر 41 والبرهان في تجويد القرآن 10.

إخفاء وسببه هو «عسر الإدغام، وعسر الإتيان بالغنة في النون مع الإظهار، فتعين الإخفاء، وتُوصِّل إليه بالقلب؛ لمشاركة الميم للباء في المخرج وللنون في الصفة»[1] وفيما يلي تفصيل ذلك:

فالنون الساكنة أطلق عليها (سيبويه 180هـ) «النون الخفية»[2]، وقد أوضح سبب خفائها بقوله: «تكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً مخفياً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم؛ لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم ألا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها، وهي من الفم؛ لأنه ليس يخرج من ذلك الموضع غيرها فاختاروا الخفة؛ إذ لم يكن لبس»[3]، أما (ابن يعيش 643هـ) فقد علل بقوله: «فلم تقو قوة حروف الفم، فتدغم فيها، ولم تبعد بعد حروف الحلق، فتظهر معها، وإنما كانت متوسطة بين القرب والبعد، فتوسط أمرها بين الإظهار، والإدغام فأخفيت عندها»[4]، وقال أيضاً: «خفيت مع حروف الفم؛ لأنهن يخالطنها»[5]، وقد مثل لها بنون (منْذ) و(عنْد) والنون الخفية من الحروف الفرعية المستحسنة في القرآن الكريم والشعر[6]، وهي التي كملت خمسة وثلاثين حرفاً[7]، وهي تختص بضبط خاص في القرآن الكريم. والحروف الفرعية خيارات لناطق العربية إذا لم يستطع أن ينطق صوتاً أصلياً، فله الخيار

(1) انظر أحكام قراءة القرآن الكريم 83.

(2) الكتاب 4/ 432.

(3) الكتاب 4/ 454.

(4) شرح المفصل لابن يعيش 126.

(5) شرح المفصل لابن يعيش 126.

(6) الكتاب 4/ 432.

(7) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

أن ينطق الصوت المتفرع عنه[1]، وقد نشأت هذه الفروع عن أسباب عامة تحدث في اللغة العربية وجميع اللغات الإنسانية الأخرى، وهي أسباب عضوية (فسيولوجية) تتعلق بحركة أعضاء النطق من مخارج الأصوات[2]؛ ذلك «أن أقل انحراف في المخرج يمكن أن يعطي نتائج مختلفة تدركها الأجهزة الحساسة مثل السبكتروجراف، أو مسجل تردد الموجات الصوتية إن لم تدركها الأذن»[3]، هذا تفسير الدراسات الحديثة لحدوث التنوعات الصوتية عضوياً، أما علماء التراث فلم يفسروا هذه الظاهرة عضوياً إلا أن ابن يعيش الذي اجتهد في ذلك بقوله: «وإنما كانت هذه الحروف فروعاً؛ لأنهن الحروف التي ذكرناها [أي الأصول] لا غيرهن، ولكن أُزِلْنَ عن معتمدهن، فتغيرت جروسهن»[4]، فهو يرى أن الأصوات الفروع هي أصوات أصول انحرفت أعضاء النطق ـ عند إنتاجها ـ عن مواضعها الأصلية، فأدّى ذلك إلى تغيير جرسها في السمع. ومن الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الفروع ما يرجع إلى منهج الأولين من علماء العربية في جمع اللغة من لهجات عديدة، وفي فترة زمنية طويلة تم اختيار لغة موحدة ذات أصول ينشأ عن ذلك أصوات مصاحبة تكون مشابهة للأصوات الأصول[5].

هذا الصوت الفرعي من الأصوات المستحسنة في القرآن الكريم والشعر، وقال به سيبويه وسار على ذلك (ابن جني 392هـ)[6] وغيره.

---

(1) الدراسات الصوتية عند علماء العربية تأليف عبد الحميد إبراهيم نشر الدعوة الإسلامية ط ر 1 (1992م) ص 101.

(2) نفس المرجع السابق ص 103.

(3) أسس علم اللغة ماريوباي ترجمة أحمد مختار عمر منشورات جامع الفاتح طرابلس ص 45.

(4) شرح المفصل لابن يعيش 126.

(5) الدراسات الصوتية عند العرب 104.

(6) انظر بغية الوعاة ج 2/ 132.

واعلم أن النون الخفية تشتمل على عدد من الأصوات يأتي كل منها في بيئة صوتية خاصة[1] لا تقع فيها الأصوات الأخرى «وتعدّ صور النون الساكنة المتغيرة طبقاً لما يليها من أصوات في الكلمة الواحدة، أو في بداية ما يليها من كلمات من أكثر الأمثلة دلالة في اللغة العربية على طبيعة الصور المتنوعة للوحدات الصوتية المسماة بالألفونات»[2]، والألفون فرد من أفراد أسرة الفونيم، وقد عرّف ماريو باي الألفون بأنه: «أي صوت لغوي مفرد بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل»[3].

إن هذه الصور هي التي أنتجت ظاهرة التماثل المدبر، نتيجة إتباع حرف النون بصوت صامت من الأصوات التي تخرج من التجويف الفموي؛ إذ إن مخرج النون «يعتبر متوسطاً بين أصوات الفم»[4]، لذا بات جلياً ـ عزيزي القارئ ـ أن أضع أمامك صور التماثل المدبر حرفاً حرفاً مستدلاً بنصوص القرآن الكريم:

أ ـ أنفي لهوي، ويقع قبل القاف كالنون في قوله تعالى﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[6].

ب ـ أنفي طبقي، ويقع قبل الكاف كالنون في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾[8].

---

(1) انظر مصطلحات سيبويه د. تميم حسان مجلة الأزهر ص 1078.

(2) انظر مبادئ علم الأصوات. تأليف ديفيد أمبروكربي ترجمة محمد فتيّح ط ر 1 (1988م) ص 308.

(3) انظر أسس علم اللغة ترجمة أحمد مختار عمر ص 47 منشورات كلية التربية جامعة طرابلس (1973م).

(4) الدراسات الصوتية عند علماء العربية عبد الحميد الهادي إبراهيم ط ر 1 ص 125 منشورات كلية الدعوة الإسلامية (1992).

(5) سورة الزخرف الآية 14.

(6) سورة البينة الآية 3.

(7) سورة الزخرف الآية 50.

(8) سورة الانفطار الآية 11.

ج ـ أنفي غاري، ويقع قبل:

1 ـ الجيم كالنون نحو قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2].

2 ـ السين كالنون في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[4].

د ـ أنفي أسناني ذلقي، ويقع قبل:

1 ـ الشين كالنون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾[6].

2 ـ الزاي كالنون في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[8].

هـ ـ أنفي أسناني ذلقي مفخم، ويقع قبل الصاد كالنون في قوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[10].

و ـ أنفي جانبي الحبسة مفخم، ويقع قبل الضاد كالنون في قوله تعالى﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[12].

---

(1) سورة الإنسان الآية 17.

(2) سورة الفجر الآية 20.

(3) سورة الأنبياء الآية 96.

(4) سورة الملك الآية 8.

(5) سورة الملك الآية 23.

(6) سورة المزمّل الآية 5.

(7) سورة آل عمران الآية 3.

(8) سورة الكهف الآية 74.

(9) سورة فصلت الآية 16.

(10) سورة الواقعة الآية 29.

(11) سورة الواقعة الآية 29.

(12) سورة النجم الآية 22.

ز ـ أنفي لثوي ذلقي مفخم، ويقع قبل الطاء كالنون في قوله تعالى﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[2].

ح ـ أنفي أسناني مفخم، ويقع قبل الظاء كالنون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[4].

ط ـ أنفي لثوي ذلقي، ويقع قبل:

1 ـ الدال كالنون في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.

2 ـ التاء كالنون في قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[7].

ي ـ أنفي أسناني، ويقع قبل:

1 ـ الذال كالنون في قوله تعالى﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾[9].

2 ـ الثاء كالنون في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿تُطَاعُ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[11].

---

(1) سورة الشعراء الآية 13.

(2) سورة الفرقان الآية 48.

(3) سورة النبأ الآية 40.

(4) سورة النساء الآية 57.

(5) سورة البقرة الآية 22.

(6) سورة البقرة الآية 172.

(7) سورة الليل الآية 19.

(8) سورة المدثر الآية 2.

(9) سورة المرسلات الآية 30.

(10) سورة الفرقان الآية 23.

(11) سورة التكوير الآية 21.

ك ـ أنفي أسناني، ويقع قبل الفاء كالنون في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[2].

هذه صورة النون الساكنة مع الخمسة عشر حرفاً، والتي عرفنا أثرها في هذا الصوت الغنوي، الأثر الذي جعل مخرج النون الذي تتصف به حينما تكون متحركة، وهو المخرج اللثوي تتخلى عنه لحساب مخرج الصوت الذي يليه.

وأودُّ أن أبين «أن هذه الأصوات جميعها للنون، ليست إلا مظاهر مختلفة لفونيم واحد»[3].

أما فيما يخص الإقلاب، وهو في حقيقته إخفاء؛ إذ لا يتأتى إخفاء النون في الباء إلا بقلب النون ميماً، ثم تختفي الميم في الباء قال (سيبويه 180هـ): «لأنهم يقلبون النون ميماً في قولهم: العنبر، ومن بدا لك»[4]، ولا يحدث إدغام لحرف الميم مع الباء؛ لأنهم «لما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون لم يغيروه»[5].

النون الساكنة وظاهرة التماثل الكامل Total Assimilation:

تحصل هذه الظاهرة في اللغة العربية حينما يلتقي صوتان متجانسان أو متقاربان في المخرج أو الصفة، فيدغم أحدهما في الآخر، وذلك على نوعين أحدهما إدغام المتماثلين، وهو أن يلتقي المثلان، فيدغم الأول في الآخر، والثاني

(1) سورة البيِّنة الآية 1.

(2) سورة النساء الآية 14.

(3) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث د. رمضان عبد التواب ط ر 3 (1996م) ص 50 مكتبة الخانجي القاهرة.

(4) الكتاب 4/ 447.

(5) الكتاب 4/ 447.

تجانس حرفين في الصفة أو في المخرج، فيقلب الأول من جنس الثاني، ويدغم فيه.

واهتم علماء التراث بذلك فهذا (سيبويه 180هـ) قد ظهرت عنايته الفائقة بظاهرة التماثل (الإدغام) وخصها بدراسة مفصلة، واهتدى إلى قوانين صوتية دقيقة في كيفية تعامل الأصوات اللغوية، بعضها مع بعض ضمن التشكيل الصوتي؛ لتحقيق هذه الظاهرة، فقد ركّز على إدغام المتقاربين، وقد اشترط لحصول التماثل، المقاربة في المخرج والمضارعة في الصفة؛ حيث قال: «وأصل الإدغام في حروف الفم واللسان؛ لأنها أكثر الحروف»[1] و«ليست حروف الحلق بأصل للإدغام»[2] وميّز الحروف التي يجوز إدغامها من التي لا يجوز لها ذلك[3]، وقد بين القدامى مواضع امتناع الإدغام[4].

والإدغام هو «أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة[5]؛ حيث إذا التقى حرفان متجانسان أو متقاربان «فيصير النطق على اللسان ثقيلا»[6]؛ إذ «التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به يجعل ذلك ضيقاً، فهو بمنزلة الضيق في الخطو على المقيد»؛ لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيّد قدمه إلى موضعها الذي نقلها منه[7]، والإدغام الذي نفصله هنا هو إدغام النون الساكنة.

---

(1) الكتاب 4/ 448، 454.

(2) الكتاب 4/ 451.

(3) الكتاب 4/ 437 وما بعدها، 4/ 445.

(4) شرح المفصل لابن يعيش ص 122.

(5) شرح المفصل لابن يعيش ص 121.

(6) شرح المفصل لابن يعيش ص 131.

(7) شرح المفصل لابن يعيش ص 131.

تدغم النون الساكنة في ستة أحرف يجمعها قولك (يرملون) وفيما يلي تفصيل ذلك.

أ ـ النون الساكنة مع الياء: نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾[2]، ويكون هذا الإدغام بقلب النون ياء للتجانس واللين وذلك أن النون بمنزلة حروف المد[3]، «فلو أخذت إدغام المقارب في مقاربه من غير قلب لاستحال؛ لأن الإدغام أن تجعل الحرفين كحرف واحد ترفع اللسان بهما رفعة واحدة؛ وذلك لا يتأتى مع اختلاف الحرفين»[4]، على أن تبقى الغنة دالة على النون؛ إذ الإدغام هنا ناقص فهو ليس على نية ذهاب الحرف، وبقاء صوت الغنة دالاً على الحرف المدغم؛ ليتجانس مع الياء، «فنسمع ياء أنفية أي يسمح للهواء عند النطق بها أن يمر من الأذن والفم معاً، وهي إحدى حالتين يسمح فيهما للهواء بالمرور من التجويفين حسب رأي القراء»[5].

ب ـ النون الساكنة مع الواو، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾[7]، وتبقى الغنة دليلاً على الحرف الأول (حرف النون) وكان هذا التماثل (الإدغام) لأن النون من مخرج الراء والراء قريبة من الياء[8]، والياء أخت الواو لما فيها من صفة المدّ.

(1) سورة البقرة الآية 8.

(2) سورة البقرة الآية 19.

(3) شرح المفصل لابن يعيش 144.

(4) شرح المفصل لابن يعيش 131.

(5) علم الأصوات اللغوية 149.

(6) سورة البقرة الآية 107.

(7) سورة الحاقة الآية 16.

(8) شرح المفصل لابن يعيش 144.

ج ـ النون الساكنة مع النون، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾[2].

والغنة هنا «ليست إلا لإطالة الصوت المشدّد، وتحصل معها نغمة موسيقية محببة تستريح لها النفس»[3].

د ـ النون الساكنة مع الميم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[5]، ويكون التماثل بإبدال النون ميماً، وتدغم في الميم، وقد علل (سيبويه ت 180 هـ) بقوله: «لأن صوتهما واحد وهما مجهوران»[6] أي صوت الغنة. فالنون تتأثر بما يجاورها من أصوات منها صوت الميم[7].

هـ ـ النون الساكنة مع اللام، نحو قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[8]، ونحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[9].

و ـ النون الساكنة مع الراء، قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾[11].

---

(1) سورة النحل الآية 53.

(2) سورة الغاشية الآية 8.

(3) علم الأصوات اللغوية 150.

(4) سورة البقرة الآية 164.

(5) سورة البقرة الآية 26.

(6) الكتاب 4/ 452.

(7) انظر الأصوات اللغوية د. عبدالله سويد مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 1/ 122.

(8) سورة البروج الآية 16.

(9) سورة هود الآية 1.

(10) سورة محمد الآية 15.

(11) سورة البقرة الآية 25.

فعند قراءتك لقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وقوله: ﴿مِن لَّدُنْ﴾ وقوله: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وقوله: ﴿ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ تجد أن النون أبدلت لاماً في الفقرة (هـ) وراء في الفقرة (و) وحدث إدغامه في الحرف الذي يليه (اللام) و(الراء) إدغاماً كاملاً، قال (سيبويه ت 180هـ): «وتدغم في اللام؛ لأنها قريبة منها على طرف اللسان»[1]، وقال: «وتدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة»[2]، ويذكر علماء التجويد أن الإدغام الكامل يكون بغير غنة، وذلك لذهاب صوت النون، أي يبدل هذا الحرف لاماً خالصة قبل اللام، وإلى راء خالصة قبل الراء، فهو على نية الفناء إذن[3]، إلا أنه من حيث الغنة فقد خالف (سيبويه ت 180هـ) علماء التجويد في ذلك قائلاً: «وتدغم النون مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: من رّاشد ومن رّأيت، وتدغم بغنة وبلا غنة»[4] فمن ذلك نرى أن إدغام النون في الياء والواو والنون والميم يكون إدغاماً ناقصاً، وتبقى صفة الغنة دالة على الحرف الأول (النون) أما في إدغام النون في اللام والراء، فلا أثر للغنة عند القراء وإن جاز لغة عند سيبويه[5].

امتناع التماثل والغنة:

من الظواهر الصوتية التي تعرف للنون الساكنة عند مجاورتها الأصوات الحلقية الإظهار[6]، وهو لغة: التبيين[7]، واصطلاحاً نطق النون الساكنة نطقاً

(1) الكتاب 4/ 452 والمقتضب 212.

(2) الكتاب 4/ 452 والمقتضب 212.

(3) أحكام تجويد القرآن الكريم 104.

(4) الكتاب 4/ 452.

(5) الكتاب 4/ 452.

(6) انظر تاج العروس في شرح القاموس مجلد 3 مادة (ظهر).

(7) لسان العرب لابن منظور مادة (ظهر).

خالصاً دون تأثر بما بعدها من الأصوات، فلا تدغم ولا تخفى[1]، وفيما يلي بيان ذلك.

«وتكون النون مع الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء بيِّنة موضعها من الفم»[2]، وعلل سبب ذلك في أكثر من موضع، فقال: «وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مخرج النون، وليست من قبيلها»[3] وقال: «وليست حروف الحلق بأصل للإدغام»[4]. ويرى علماء التجويد أن النون الساكنة تحتفظ بصفاتها مع الأصوات الحلقية حين تجاورها، فتنطق خطفاً من دون تماثل وغنة، وقد سار (المبرد ـ ت 285هـ) على هذا النهج فقال: «فإن كان معها حرف من حروف الحلق أمن عليها القلب، فكان مخرجها من الفم لا من الخياشيم؛ لتباعد ما بينها؛ وذلك كقولك. من هو، فتظهر»[5].

والأمثلة على ذلك:

1 ـ النون مع الهمزة، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[8].

2 ـ النون مع الهاء، نحو قوله تعالى: ﴿قَوْمٍ هَادٍ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[11].

---

(1) البرهان في تجويد القرآن 8.

(2) الكتاب لسيبويه 4/ 454.

(3) الكتاب 4/ 454.

(4) الكتاب 4/ 451.

(5) المقتضب 215.

(6) سورة المائدة الآية 69.

(7) سورة الإخلاص الآية 4.

(8) سورة الأنعام الآية 26.

(9) سورة الرعد الآية 7.

(10) سورة الأنفال الآية 42.

(11) سورة الأنعام الآية 26.

3 ـ النون مع العين، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾[2].

4 ـ النون مع الحاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا حَسَنًا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[5].

5 ـ النون مع الغين، نحو قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[8].

6 ـ النون مع الخاء، نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾[11].

ويكون الإظهار في كلمة ومن كلمتين، ومن ذلك نرى أن النون الساكنة المتحدة المخرج الذي تتصف به عندما تكون متحركة، وهو المخرج اللثوي لا تتخلى عنه لحساب مخرج الصوت الذي يليها محدثة ظاهرة صوتية هي ما نسميها الإظهار.

---

(1) سورة يونس الآية 22.

(2) سورة فصلت الآية 46.

(3) سورة الشعراء الآية 149.

(4) سورة هود الآية 88.

(5) سورة التوبة الآية 107.

(6) سورة الإسراء الآية 71.

(7) سورة القصص الآية 71.

(8) سورة الحاقة الآية 36.

(9) سورة المائدة الآية 3.

(10) سورة الحجرات الآية 13.

(11) سورة ق الآية 33.

خلاصة البحث:

1 ـ النون الساكنة من الأصوات التي ترتاح النفس البشرية إليها، خاصّة في تلاوة القرآن الكريم، إذا ما أعطيت التلاوة حقها، ويرجع جمال هذه الأصوات الغنويّة إلى إتقان القارئ القراءة، وقدرته على إبراز الخواص الفنية والجمالية لهذا النغم الجميل.

2 ـ تنبثق عن النون الساكنة أحكام: الإخفاء، الإدغام، الإظهار.

3 ـ تتأثّر النون الساكنة بما يجاورها، فتتأثّر بخمسة عشر صوتاً (ت ـ ث ـ ج ـ د ـ ذ ـ ز ـ س ـ ش ـ ص ـ ض ـ ط ـ ظ ـ ف ـ ق ـ ك) محدثة ظاهرة صوتية تسمّى الإخفاء عند علماء القراءات، وبالتماثل المدبر عند المحدثين، ويكون النطق بالحرف بصفة بين الإدغام والإظهار، وذلك ناتج عن تخلّي النون الساكنة عن مخرجها بما يسببه الصوت اللاحق.

4 ـ تحدث ظاهرة التماثل (الإدغام) عند مجاورة أحد حروف (يرملون) لحرف النون، ويكون التماثل ناقصاً عند مجاورة هذا الحرف لحروف (ينمو) ويكون بإبدال النون حرفاً من هذه الحروف مع بقاء الغنة، فهو ليس على نية فناء الحرف تماماً أما مجاورة الراء واللام لحرف النون، فينتج إبدال النون راءً أو لاماً ثم إدغامه في الراء أو اللام إدغاماً كاملاً، ولا أثر للغنّة، إذ الغاية هي فناء الحرف تماماً.

5 ـ ظاهرة الإدغام يلجأ إليها الناطق بالعربية للخفة وتوفير الجهد، ولا يقل الإظهار أهمية في ذلك، فكلما تباعدت المخارج ازداد النطق حسناً[1].

يمتنع تأثير صوت اللاحق في السابق بالنسبة لصوت النون إذا كان اللاحق صوتاً من أصوات الحلق الستة (الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء)؛ حيث تسمى هذه الظاهرة بـ «الإظهار»؛ وسببه التباعد في المخرج أو

(1) الكتاب 4/ 446.

صفات هذا الصوت الذي يمكن وصفه بأنـه (شـديد، مجهـور، متوسـط، مائع).

6 ـ يعدّ الإقلاب إخفاءً وسمّي بالإقلاب؛ لأنه لا يُتَوَصَّـل إلى إخفـاء النـون إلا بقلبها ميماً؛ لعسر الإدغام، وعسر الإتيان بالغنة مع النون في الإظهار.

7 ـ ظهرت دقة الدراسات الحديثة في البحث، فمن ذلك على سبيل المثال تحديـد الألفونات للنون الساكنة بحسب الحرف اللاحق؛ وذلك ناتج عن أن النـون تتخلى عن مخرجها عند مجاورتها لحروف معينة محدثة ظـاهرة صـوتيّة تـسمّى التماثل المدبر (الإخفاء Regressive Assimilation).